الخاتمة

إن الحصيلة التي نخرج بها من مسيرة التاريخ الحديث للوطن العربي، هي أن وقائع وأحداث أكثر من أربعة قرون من الزمن كانت مترابطة ومرتبطة بواقعه الجغرافي الموحد وشعبه العربي الواحد،متواصلة مع تراثه الحضاري ووحدة مشاعره ومبادئه العربية الإسلامية. فقد بقيت الأمة العربية متمسكة بأمجادها الحضارية رغم النكسات التي أصيبت بها، وجعلت من تلك المبادئ والأمجاد عقيدة في مقاومة المحتلين الغزاة ومحاولتها النهوض من جديد. ولم تكن المسافات المترامية من الوطن العربي تشكل عائقا أمام التواصل فكرياً وعملياً بين أبناء الأمة العربية، وبقيت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركز اللقاء لأبناء الوطن العربي في مواسم الحج والعمرة وتلقي العلم،وطريقاً للتواصل بين مغربه ومشرقه مثلما كانت عليه أيام الدولة العثمانية.

لقد كان الوطن العربي بمعظمه موحداً أيام العثمانيين باستثناء المغرب الأقصى الذي منعهم من الوصول إليه والذي كان يقود حملة فكرية وعسكرية لإنقاذ العرب من التسلط التركي منذ القرن السابع عشر، ناهيك عن الحركات الاستقلالية العربية داخل ولايات الدولة العثمانية. وعلى سبيل المثال لا الحصر: حركة فخر الدين الثاني في لبنان وبلاد الشام، الذي أعد جيشاً لتحريرها من الأتراك في مطلع القرن السابع عشر، كذلك الشهابيون من بعده الذين شجعوا والتزموا الوعي العربي ضد الأتراك،أما ظاهر العمر في ولاية صيدا فقد ذاع صيته في موقفه العروبي وحركته الاستقلاليه. وكان لهذه الحركات علاقات فيما بينها إضافة إلى علاقاتها بحركات

الاستقلال العربية الأخرى، ومنها الحركات الاستقلالية في مصر مثل علي بك الكبير الذي استقل بمصر عن الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر وأراد تكوين دولة عربية تضم مصر والسودان والحجاز وبلاد الشام، لكن ظروفا داخلَ مصرَ وجيشِهِ أحبطت مشروعه. أما محمد علي باشا فكان أشهر من نفذ عملية الاستقلال العربية في القرن التاسع عشر عندما ضم بلاد الشام والسودان والجزيرة العربية، ووصل سواحل اليمن على البحر الأحمر، وأصبح حليفاً استراتيجيا لظاهر العمر في بلاد الشام،وتعاون معه لتحقيق مشروعه الأميرُ شهاب الثاني في لبنان،لكن الأوربيين والأتراك العثمانيين أجهضوا مشروعه العربي النهضوي، وحددوه بحكم مصر وراثياً عام (١٨٤٠م).

من جانب آخر فإنْ الموقع الجغرافي السياسي والاستراتيجي للوطن العربي قد جعل منه مطمح الشعوب الأخرى عبر التاريخ، وأصبح محط أنظار الأوربيين في التاريخ الحديث بشكل خاص،فأطبقوا عليه واحتلوه كلَّه خلال ثمانيةٍ وثمانين عاما متواصلة(١٨٣٠ـ ١٩١٨م) ليحلوا محل الدولة العثمانية المتداعية، بعد ان فرضت عليهم متطلبات الثورة الصناعية ونتائجها ذلك، مع أنهم كانوا قد بدؤوا نشاطهم هذا منذ حركة الكشوف الجغرافية في القرن السادس عشر بدوافع دينية صليبية وبأهداف تجارية اقتصادية،فاحتلوا سواحل الوطن العربي في المغرب العربي وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي،لكنهم جوبهوا بمقاومة عربية أجبرتهم على التوقف أو الرحيل كما حدث في عُمان أيام اليعاربة،إلى أن امتلكوا ناصية العلم والتقنية والقوة في القرن التاسع عشر فاستأنفوا مشروعهم الاستعماري باحتلال شامل للوطن العربي.

لقد شهد التاريخ الحديث للوطن العربي مقاومة عربية شاملة للاحتلال الأوربي في القرن التاسعَ عشَرَ ومطلع القرن العشرين، وبرزت شخصيات قيادية قدمت نموذجاً حقيقياً للإيمان بمبادئ هذه الأمة، وكان في مقدمتهم عمر المختار، وعبد القادر الجزائري، ومحمد عبد الكريم الخطابي.وتزامنت مع هذه المقاومة نهضة عربية فكرية وسياسية شاملة جسدت تطلع الأمة العربية نحو بعث أمجادها، وإحياء تراثها، وإعادة بناء دولتها بشكل يتلاءم مع روح العصر.

أثمرت هذه الجهود الفكرية والسياسية عن مشروع لإقامة الدولة العربية الواحدة تجسد بميثاق دمشق الذي نص على قيام دولة عربية واحدة في العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية. وقد أبدى البريطانيون استعدادهم لمساعدة العرب في محاولاتهم التخلص من حكم الأتراك العثمانيين العنصريين في المشرق العربي، وتحقيق هذا الحلم، فقامت الثورة العربية عام (١٩١٦م) وأثمرت عن حكومة عربية في سوريا مقرها دمشق شكلت خلال الفترة (١٩١٨ـ ١٩٢٠م) نواة مشروع الدولة العربية الواحدة على امتداد الوطن العربي. ولم يكن تحقيق هذا الهدف بالأمر الهين والسهل، فقد اصطدم مع المخططات الأوربية السرية التي تم تنفيذها بعد الحرب العالمية الأولى بتقسيم الوطن العربي إلى كيانات قطرية وإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين. فتخلى الأوربيون بذلك عن الحكومة العربية في دمشق وأسقطوها. وشهدت سنوات العشرينيّات من القرن العشرين انتفاضات وثورات على امتداد الوطن العربي، وظهرت الكيانات القطرية العربية التي لم تمنع حدودها السياسية المصطنعة من التواصل والتفاعل بين أبناء الأمة العربية الذين رفعوا شعار الوحدة العربية رداً على التجزئة ونكث العهود من قبل الأوربيين، لتبدأ مرحلة تاريخ الوطن العربي المعاصر.